١ - العفو ياحبيبي !

ويضع السماعة فى ضجر وهو يقول :

جاتك داهية فى ابوك مطرح ماراح !

° ° °

المنظر الثالث

(فى النادى)

جماعة من الاصحاب يجلسون حول منضدة يتحدثون :

١ ـ ألم يعد يأتى (فلان) الى النادى ؟ أنى لم اره هنا منذ زمان

٢ - اعوذ بالله من غضب الله ! أنا عارف إيه اللى فكرك (بالفهو الخفى) ده دلوقت ؟

٣ ـ سبحان الله ياأخى ماتفهمش ليه أنا كان ماأقبلوش الجدع ده ! أمر تجدنى اكرهه كده لله فى لله !

٤ ـ جات داداهية فى غلاسته بعيد عنك !

١ ـ أه . افتكرنا القط جانا ينط !

٢ ـ اتفرج ياسيدى داخل نافش ازاى زى الديك الرومى

يقبل (فلان) ويدخل عليهم

الجميع ـ أهلاً . . . . . نْ وسهلا فلان بك !

١ ـ اتفضل هنا .

(ويقدم له مقعد)

٢ - لا والله . تعال جنبى أنا هنا !

° ° °

ايها القارىء :

صدقنى لقد حضرت هذه الأحاديث جميعها بنفسى . وسمعتها بأذنى . ولست اظنك الا سمعت لها أشباها ونظائر كثيرة . فأنا إنما أذكرك بها الآن لأهمس فى أذنك قبل ان أتركك :

« ماهكذا تكون (أحاديث اناس) الطيبين ! وخليق بذى الوجهين الذى يستقبل (الوجوه) بلسان ، ويشيع (الاقفية) بلسان آخر ، ان يعقد لسانيه ، ان كان لا يملك ان يتخلى عن أحد وجهيه ! »

حسن جلال

الروضـــة

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الروضة جزيرة بها مقياس النيل واقعة بين مصر القديمة والجزيرة ، وملخص تاريخها أنها من الجزر القديمة الحادثة قبل الفتح الاسلامى ولكن لايعلم زمن حدوثها . وبسبب قربها من قاعدة الديار المصرية وطيب هوائها وموقعها ظلت فى كل جيل مطمح أنظار الملوك والأمراء وذوى اليسار ، وتعاقب عليها حالان فكانت تارة تجعل حصناً للدولة وأخرى منزها حاوياً للبساتين والدور والمساجد والحمامات كما يأتى .

الحصن القديم والحصن الطولونى : لما فتح الله على المسلمين مصر وملكوا الحصن الشرقى المعروف بقصر الشمع لجأ المقوقس وقومه الى حصن كان بهذه الجزيرة ، وبعد تمام الفتح خرب الأمير عمرو بن العاص بعض ابراجه وأسواره ثم تمم عمرانها بعد ذلك فكانت فى ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر عامرة بالبيوت المشرفة على النيل من كل جهة ، وكان بها خمسمائة عامل معدة لحريق يطرأ أو هدم - وفى إمارة أحمد بن طولون بنى بها حصنا ليحرز فيه حرمه وماله وذخائره لما بلغه مسير موسى بن بغا من العراق قاصدا مصر ثم أهمل بعد الدولة الطولونية فاخذه النيل شيئاً فشيئاً . (١)

المختار والروضة : وكانت بها الصناعة (٢) لعمل السفن الحربية فلما تولى محمد بن طغج الاخشيد (٣) على مصر نقل الصناعة

---

(١) القاضى ابى عمرو عثمان النابلسى كتاب عن هذا الحصن سماه حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة مفقود الآن فيا علم وقد ذكره المقريزي فى خططه ونقل عنه (انظر ج ١ ص ٣٢٦ طبع بولاق) وذكره السيوطى فى كوكب الروضة فقال عنه « لم أقف عليه ولكن المقريزي ينقل عنه كثيرا »

(٢) الصناعة أو دار الصناعة المكان المعد لانشاء السفن وقد اقتبس الترك هذين اللفظين بعد تشويههما بالتحريف فقالوا (ترسانه) واقتبسها الافرنج بتشويه آخر فقالوا (أرسنال) Arsenal

(٣) طغج ضبطه ابن خلكان بضم الطاء وسكون الغين وفى مادة جغف فى شرح القاموس الزبيدي ان أهل المغرب ضبطوه بضم الغين والطاء وتشديد الجيم . قلنا وهو الموافق للوزن فى قول أبي العلاء المعري فى اللزوميات

وأحسن منكم فى الرعية سيرة طغج بن جف حين قام وبارس

وقول مهاهل بن يموت من قصيدة فى رثاء الاخشيد أوردها التوزى فى نهاية الارب قال « وتأ محمد بن طغج هو ليث الشرى وغيث الغمام

الى ساحل الفسطاط وأنشأ موضعها بستانا سماه المختار وبنى فيه قصراً وأما كن له ولغلمانه ، وكان يفاخر به أهل العراق ، وبقى بعده فكان يتنزه فيه المعز الفاطمى وابنه العزيز ، ثم فى أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على وزارة الفاطميين وحجره على الخليفة أنشأ فى شمالى الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وبنى فيه المناظر البديعة ، فمن حينئذ عرفت الجزيرة كلها بالروضة وكانت تعرف فى أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم بجزيرة الحصن (١) هذا قول عامة المؤرخين ، وقال ابن المتوج انما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبعد قتل الأفضل بنى بها المامون البطائحى الوزير منظرة بقيت الى آخر الدولة الفاطمية ، ويذكر المؤرخون أنه بناها مكان الصناعة بعد ان نقل الصناعة الى مكانها القديم بالفسطاط ، ولا يخفى ان نقلها أول مرة من الجزيرة كان زمن الإخشيد كما تقدم ، ولم نرهم ذكروا انها أعيدت اليها ولا رأينا منهم من تنبه لذلك غير الامام السيوطى فى كوكب الروضة فانه علق على هذا الخبر بقوله « وهو يدل على أن الصناعة أعيدت الى الروضة بعد أن نقلها الاخشيد الى ساحل مصر حتى نقلت ثانيا » .

الهودج : ولما تولى الآمر بأحكام الله الخلافة أنشأ بها قصرا على النيل بجوار البستان المختار سماه الهودج وأسكن به زوجته الغالية (٢) البدوية ، وسبب ذلك أنه كان مغرما بالجوارى العربيات قبلغه أن بصعيد مصر جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم جميلة شاعرة فأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها ، فلما نقلت الى القصر انقبضت نفسها من حيطانه واشتاقت الى تسريح طرفها فى الفضاء على ما اعتادته فبنى لها الهودج على شاطىء النيل بالجزيرة فى شكل غريب وصار يتردد عليه الى أن قصده فى رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ فلما بلغ رأس الجسر عما يلى الروضة وثب عليه قوم من النزارية (١) كانوا كامنين له هناك وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه فحمل الى منظرة اللؤلؤة (٢) بشاطىء الخليج وقد مات . قال ابن سعيد وقد أكثر الناس من ذكر الآمر والبدوية وابن عمها حتى صارت رواياتهم كأحاديث البطال (٣) وألف ليلة وليلة وما اشبه ذلك . فمما روى عنها انها بقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الخليفة الآمر :

يا ابن مياح إليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مطاعا آمرا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد ... لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تنينا كأغصان النقا ... حيث لا يخشى علينا دركا
وتلاعبنا برمال الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فاجابها بقوله

بنت عمى والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع ما المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد أهلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبدياً بالتيه ما قد ملكا

وبلغت الآمر الأبيات فقال لولا أنه أساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . قال القرطبى والناس فى طلب ابن مياح

وجاء به المتنبى مخففا فى قوله

حتى على الاعداء من كل جانب ... سيوف بنى طنج بن جف القماقم

وقال المكبرى فى شرحه طنج الأصل فيه ضم النون وانما غيره على عادة العرب فى تغيير الاسماء الاعجمية

وأما الاخشيد فبكسر فسكون فكسر بلا خلاف وكان لقباً للملوك فرغانة فلما تولى محمد بن طغج على مصر وهو من ذريتهم سأل الخليفة الراضى تلقيبه به فأجابه الى ذلك

(١) كذا فى خطط المقريزى وغيرها وقد سماها المقريزى فى كلامه على الهودج (ج ١ ص ٤٨٠ طبع بولاق) بجزيرة الفسطاط أيضا ، وفى الاتعاظ لابن دقماق عن الكندى لما كانت تعرف قديماً بجزيرة الصناعة . قلنا وكانت تعرف فى زماننا بالنيل بفتح فسكون وهو اسم قرية بها قلب عليها كلها ثم عاد اليها اسم الروضة أخيراً لما أنشئت الجسور الثلاثة بينها وبين مصر القديمة والجيزة وأخذت الضفة تذكرها بهذا الاسم شاع بين الناس

(٢) رسم لسنها فى بعض التواريخ بالعين المهملة

(١) هم القائلون بامامة نزار بن المستنصر الفاطمى وكان والده يريد العهد اليه فاطله وزيره الافضل ابن أمير الجيوش لبغضه له ولما مات المستنصر بايع ولده الصغير أحمد ولقبه بالمستعلى وفر نزار الى الاسكندرية واستولى عليها وانضم اليه واليها وقاضيها وبعض الامراء وبايعوه ثم انتهى أمره بالقبض عليه وحمله الى القاهرة وقتله بها بأمر أخيه المستعلى وتدبير الوزير ، وكان الحسن بن الصباح شيخ الاسماعيلية وهو المشهور لما حضر الى مصر واجتمع بالمستنصر سأله عن الامام بعده فقال ولدى نزار فلما عاد الى العراق نشر الدعوة النزارية فى تلك الاوجاء بين الاسماعيلية وهو الذى أرسل حسوا. النزارية الى المستعلى لاغتصابه الامامة من نزار وبنيه فلم يتمكنوا منه حتى مات فقتلوا ابنه

(٢) من مناظر الخلفاء الفاطميين بناها العزيز ثم جدد بها الحاكم ثم أعادها ابنه الظاهر وكانت تطل من الغرب على الخليج ومن الشرق على البستان الكافورى وكان الخلفاء يتفرجون فيها فى أيام النيل ورسمها الآن الاماكن الواقعة جنوبى مسجد الشيخ الشعرانى

(٣) طبعت هذه القصة بمصر بعنوان سيرة الاميرة ذات الهمة وولدها الامير عبد الوهاب والامير أبى محمد البطال .

واختفائه أخبار تطول. وكان من عرب طيء في عصر الامير طراد بن مهلهل ؛ فلما بلغته قصة الآمر مع الغالية قال :

ألا أبلغوا الآمر المصطفى ... مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟ ... سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الآمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد! باع أبيات الحي بثلاثة أبيات . وفي خطط المقريزي أن الهودج بقي متنزها للخلفاء الفاطميين بعد الآمر الى أن خرب وجهل مكانه بالروضة .

قلنا ما اشبه الليلة بالبارحة فقد وقع لوالي مصر عباس باشا الكبير المتولي سنة ١٢٦٤ مثل ماوقع للآمر في بدئه ونهايته فانه كان مشغوفا بالحياة البدوية أيضا فتزوج وأسكنها قصرا في ضاحية من القاهرة وصار يتردد عليه خفية ثم كانت نهاية أمره أنه قتل غيلة في قصره بينها سنة ١٢٧٠ قتله مملوكان من الجركس باغراء رجال الدولة العثمانية على ماقيل لأنهم آنسوا منه ميلا للخروج عن طاعتهم والاستقلال بمصر ، وقد أدركنا الناس في مصر يلهجون بحديث البدوية ويروون فيه روايات شتى ، وسمعنا العامة يلوكون أغنية قيلت في ذلك الزمن أولها (ياحالي ع البدرية) وقليل من أهل مصر الآن من يعرف هذا الخبر وهو من غريب مايتفق وقوعه للملكين في مملكة واحدة .

القلعة الصالحية : وفي أواخر الدولة الايوبية بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد قلعته بهذه الجزيرة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الأشجار وبنى بها جامعا وعمل لها ستين برجا وأنفق عليها اموالا جمة فعرفت بالقلعة الصالحية وبقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة واحتاج بسببها الى هدم أماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج والمختار ، ويقال إنه قطع من الموضع الذي أنشأها فيه ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى للملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه ، ولما كملت جعلها مقر ملكه وسرير سلطانه وأسكن بها جنوده البحرية (١) وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الاقوات خشية محاصرة الافرنج فانهم كانوا حينئذ عازمين على قصد البلاد المصرية . وكان سور هذه القلعة الشرقي مطلا على فرع النيل الشرقي الذي بين الجزيرة ومصر وكان بها الايوان الملكي العديم المثال ، وفيها يقول ابن سعيد الاندلسي ، وكنت اشق في بعض الليالي

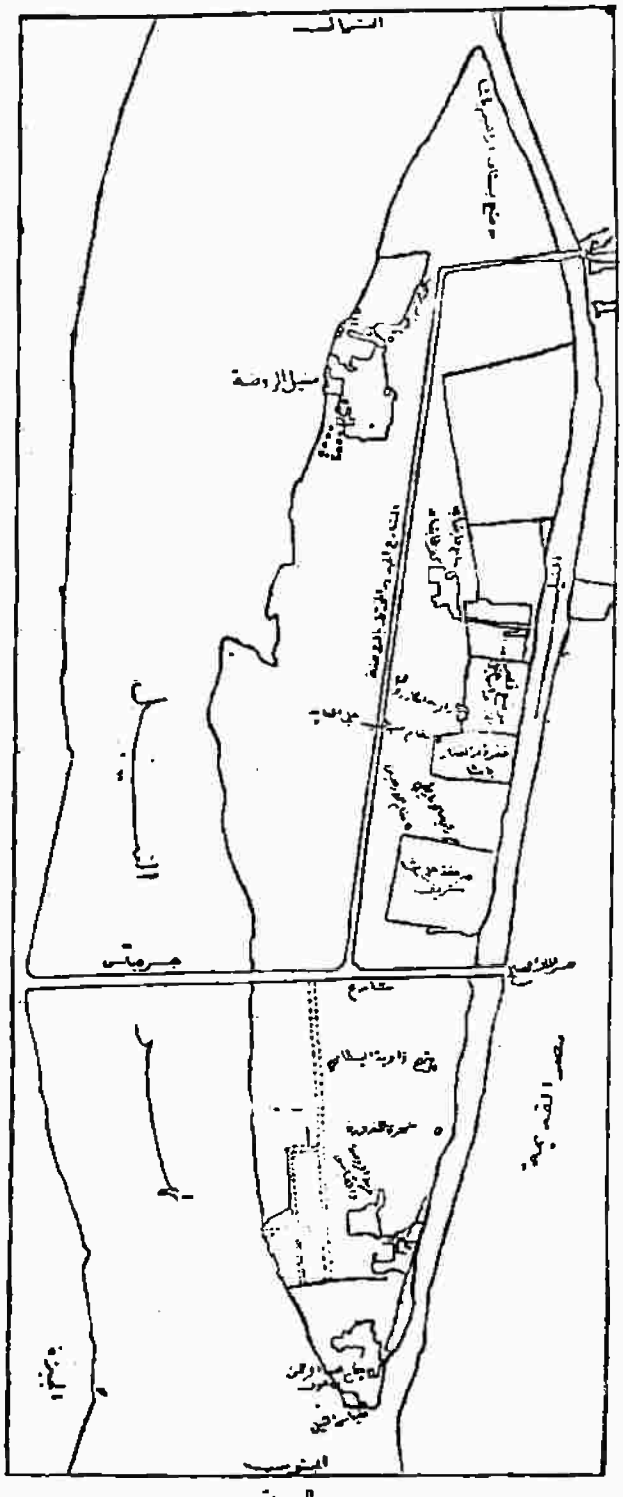

مصور الروضة

بالفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية . ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة في البناء

(١) كان منهم بعد ذلك ملوك الدولة التركية البحرية التي خلفت الايوبية ولقبوا بالبحرية لسكناهم في النيل في هذه القلعة

وأبصرت فى هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم تر عيى مثاله ولا أقدر ما أتفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الانيوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر ، وقد تفرجت كثيراً فى طرف هذه الجزيرة مما يلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات ، لم تزل لاحزان الغربة مذهبات ، انتهى . واستيعاب ماقيل فى محاسن هذه القلعة يطول ويخرج بنا عن المقصود

ولما ملك المعز أيبك التركانى أول ملوك الدولة التركية البحرية أمر بهدم هذه القلعة ليعمر منها مدرسته المعزية واقتدى به ذوو الجاه فأخذوا كثيرا من سقوفها وشبابيكها وغيرها ، ثم لما ملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم باعادتها كما كانت فأصلح بعض ماتهدم منها ، ولما تولى المنصور قلاوون نقل منها مايحتاج اليه فى بناء البيمارستان والقبة المنصورية ، ثم نقل منها ابنه الناصر محمد ماالحتاج اليه فى أبنيته فدب اليها الخراب الى أن ذهبت كأن لم تكن . قال المقريزى وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل . قلنا أما موضعها بالروضة فقد صرح ابن اياس (ج ١ ص ٨٣) أنها بنيت بالقرب من المقياس أى فى الجهة الجنوبية للجزيرة ، ونقل الامام السيوطى فى كوكب الروضة فى كلامه على جامع الريس المعروف اليوم بزاوية البسطامى نصوصا من التوقيع الذى كتبه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير لمنشئه يعلم منها ان هذا المسجد بنى موضع برج الاراز أحد أبراج هذه القلعة . وقال ابن دقماق فى الانتصار بناه الرئيس صدقة على أول برج من أبراج قلعة الروضة . وذكر السيوطى أيضا فى كلامه على جامع المقياس المعروف اليوم بجامع عبد الرحمن بن عوف ان الملك الصالح عمره بقلعة الروضة ونرى فى المصور الملحق بهذه المقالة أن كلا المسجدين فى الجهة الجنوبية من الجزيرة . وقد ظهر لنا من هذا ومما استخلصناه من اقوال غيرهم من المؤرخين ان هذه القلعة كانت فى الثلث الجنوبى للجزيرة آخذة من مقياس النيل فى المواضع الشمالية منه الى زاوية البسطامى الواقعة فى موضع برج الطراز أول برج من أبراجها من الشمال وأنها كانت مطلة من الشرق والغرب على فرعى النيل الصغير والكبير ، ومما يدل ايضاً على إشرافها على النيل من الجانبين قول ابن سعيد الاندلسى فى وصفها « وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب محى الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تلألأ والنيل قد انقسم عليها فقلت :

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت ... وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا ... تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غيبة (١) ... كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها ... فمد يمينا نحوها وشمالا

فانه أبان بتشبيهه ماء النيل بالهلال عن استدارته بطرفها الجنوبى ، ثم أبان عن امتداده فى جانبيها بتشبيهه بمشوق يعانقها باليمين والشمال واذا عرفنا ذلك وعرفنا فيما تقدم ان المختار والهودج كانا مطلين على النيل وان الملك الصالح خربهما ليدخلهما فى القلعة كما تر ماخربه من الاماكن ، تبين لنا أنهما كانا فى الجهة الجنوبية أيضاً . والغالب على الظن انهما كانا على الفرع الكبير للنيل الذى بين الجزيرة والجيزة أى فى أحد المواضع الواقعة بين المقياس وجسر عباس لأن المختار أنشئ موضع الصناعة ويستبعد ان تكون الصناعة على الفرع الصغير الشرقى .

قصر نجم الدين : ذكر الفرنسيس فى كتابهم وصف مصر (ج ١٥ ص ٤٥٠ و ٤٦٥) انهم أدركوا من الاحتلال بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقى للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين (٢) ولم يكن باقياً منه وقتئذ غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن أكثرها خرب ، وهو بلاريب من قصور القلعة الصلاحية ، ولعل الذى حفظه من الدثور عناية الدول فى كل جيل بالمقياس وأبنيته ، ولكن يظهر لنا أن الذى أدركوه منه لم يكن من الأبنية الصلاحية القديمة بل كان مما جدده فيه السلطان الغورى من القاعات والمساكن . ومما يذكر عن هذا القصر نزول السلطان سليم العثمانى به مدة مقامه بمصر فانه لما تم له فتحها وصفا له الوقت بعد قتل السلطان طومان باى استطاب السكنى بالروضة فانتقل اليها ونزل بالمقياس . قال ابن اياس فى حوادث ربيع الثانى من سنة ٩٢٣ هـ « وفى يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى الى المقياس وكان فى ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد يغرق ، فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه (٣) الى الروضة ومصر العتيقة ، ثم ان

(١) كذا فى نسختين من كوكب الروضة للسيوطى والذى فى نسخ خطط المقريزى (من بعد غاية)

(٢) جاء فى كتاب الفرنسيس انه (الملك الصالح نجم الدين بن الملك العادل) وهو خطأ صوابه الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل

(٣) الوطاق محرف عن أوتاق أو أوتاغ وهو فى التركية الخيمة الكبيرة التى للعظماء والمراد هنا مخيم السلطان وحاشيته وحرسه .

أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة ومصر العتيقة وسكنوا فى دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام (١) » . ثم إنه أنشأ منظرة من خشب فوق المقياس جعل اقامته بها وهى التى سماها ابن أياس بالقصر (٢) فقال عنها فى حوادث جمادى الثانية من هذه السنة « وفيه أشيع أن السلطان سليم (٣) شاه أنشأ له قصراً من خشب بالمقياس من فوق القصر الذى أنشأه السلطان الغورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به فى اليوم الحر وأحضر جماعة من النجارين والبنائين وشرع فى بنائه حتى فرغ منه فى أيسر مدة » . قلنا وفى هذه المنظرة حاول (قانصوه العادلى) أحد أمراء الجراكسة قتله انتقاما لطومان باى وقومه ذكر ذلك ابن زنبل الرمال فى تاريخ فتح السلطان سليم لمصر فقال معرضاً عن هذه المنظرة بالطيارة (٤) « فدبر فى نفسه أن يلبس مثل العرب ويأخذ معه جماعة من أهل القوة وينزل الى مركب ليلا ويسيربها تحت المقياس ويجعل له سلم تسليم ويصعد عليه وينزل الى داخل المقياس ويقتل السلطان سليما ويأخذ بثأر قومه وما علم أن الحى ما له قاتل (٥) ثم إنه فعل ذلك حتى وصل الى الطيارة التى فوق المقياس وهى محل السلطان فوجد الحراس مستيقظين » الخ وعبر عنها الاسحاق فى تاريخه بالكشك متابعة للأتراك فقال « وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ، ولما رحل السلطان سليم منه أقفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم » . وروى قطب الدين الحنفى فى تاريخ مكة المسمى بالاعلام أنه رأى بيتين من الشعر كتبهما السلطان سليم بخطه على رخامة بهذا (الكوشك) مدة مقامه به فقال « ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما على رخامة المقياس فى (الكوشك) الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد امحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وكان هذا (الكوشك) محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظمة بانيه ، ولا يتنذل بالدخول اليه تعظيما لراعيه ، ذلا قدمت مصر فى سنة ٩٤٣ وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكربكى (مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه مولانا عبد الكريم العجمى فطلع وأطلعنى معه فى صحبة خسرو باشا المذكور فرايت مكتوبا على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل ، هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل غنى ... يردده قسراً ويضمن منه ما ادركا
لو كان لى من الدهر ما قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وتحتهما ما صورته (كتبه سليم (٢)) بذلك الخط وذلك القلم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البداعة ، ونهاية التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه رحمه الله أيضا فى اللسان العربى لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار لفهم الأشعار العربية والذوق لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك ، انتهى . قلنا اليتان

(١) كانت اقامته بالروضة من هذا التاريخ الى ١٦ رجب من هذه السنة وقد سافر فى خلال هذه المدة مرة الى الاسكندرية ثم عاد الى الروضة ثم انتقل الى دار فى بركة الفيل ثم رحل الى القسطنطينية .

(٢) و (٤) ما زالت العامة بمصر تطلق القصر على العلية المتازة بالعلو والانفراد عن حجر الدار كما ذكر ابن اياس وكثيراً ما يستعمل لها المؤلفون الطيارة كما فى قول ابن سعيد الاندلسى فى وصف الفسطاط لما ورد مصر « وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل » والعامة الآن تطلق الطيارة على عريش يرفع على خشبات لحارس البيدر ويرادفها فى هذا المعنى من الفصيح القنزر بفتح فسكون وقد استوفينا الكلام على هذه الكلمة وما استعملت فيه فى معجم العامية المصرية أدانا الله على اتمامه .

(٣) لم يذكره اما تساهلا واما لعدم مع الذى بعده مركباً تركيباً مزجياً .

(٥) مثل معروف عند العامة بمصر الى الآن وذكره الجبرتى فى ترجمة كيخيا محمد المتوفى سنة ١١٠٦ فقال « واتفق ان احد البغادلى أقام مدة يرصد المترجم بمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله الى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه وكسرت زاوية حجر وأخبروه أنها من يد البغادلى فأعرض عن ذلك وقال الرصاص مرصود والحى ماله قاتل » .

(١) يرسمه الأتراك بوابر بعد الكاف هكذا (كوشك) وهو بضم الكاف وسكون مابعدها أى باجتماع ثلاثة سواكن ومعناه عندهم المنظرة تتخذ من الخشب أو البناء فى البساتين والمتنزهات وقد يطلقونه على القصر لتسيير وعربه العرب بالموسق بفتح فسكون فتح

(٢) من الرتب العثمانية ومعناه أمير الأمراء وكان ولاة مصر العثمانيون من أصحاب هذه الرتبة عادة وقد يكونون فى بعض الأحيان من الوزراء .

(٣) كذا فى ثلاث نسخ من الاعلام وقد نقل الاسحاق فى تاريخه هذا الخبر عن هذا الكتاب نفسه به (كتبه الفقير سليم) بزيادة لفظ الفقير وفى صحائف الاخبار لرئيس المنجمين المولى أحمد درويش الذى ترجمه الى التركية احد تلاميذ الشاعر ان الذى كتبه السلطان تحت البيتين (خادم الفقراء سليم)

معروفان لأن العلاء المعرى فى لزوم ما لايلزم وصحة العجز فى البيت الأول (يردده قسرا وتضمن نفسه الدركا) ، واما القصر وما يتبعه من الأبنية فلم يبق لها أثر ودخلت كلها فى قصر حسن باشا المناسترلى وحديقته .

الجزيرة فى حكم الأسرة المحمدية الحاضرة :

فى زمن العزيز محمد على أنشأ ولده العزيز ابراهيم فى خرطوم الجزيرة الشمالى بستانا كبيرا جلب له الأشجار الغريبة من البلاد البعيدة وبنى به منظرة عالية ومغارة مجللة بالودع ، وقد أدركنا بقايا ذلك . وكان من مزايا هذا البستان احتواؤه على أنواع كثيرة من الاشجار والنباتات المحتاج اليها فى الطب ، ومن طالع كتاب المادة الطبية للرشيدى المسمى عمدة المحتاج (١) يرى عجبا مما كان فيه من تلك الانواع ، وكان قصد العزيز ابراهيم رحمه الله الاستغناء بها عن جلب العقاقير من البلاد الافرنجية بقدر المستطاع .

وقد أنشأ أمراء ذلك العصر وسراته القصور والبساتين الأنيقة بالجزيرة ، وكان للخديو اسماعيل بن العزيز ابراهيم قصر بديع فى وسطها على الشاطىء الشرقى تحيط به حديقة غناء ثم أهملت من بعدهم وهجرت فدب اليها الخراب وادركناها جميعها وهى خاوية على عروشها ، وانحط شان الجزيرة الى ان أنشئت فيها الجسور الثلاثة : جسر محمد على ، وجسر الملك الصالح بينها وبين مصر القديمة ، وجسر عباس بينها وبين الجيزة ، فعاد اليها الانتعاش وأقبل الناس على البناء بها فهدمت قصورها وبيعت أراضيها قطعا وامتلأ الثلث الجنوبى بالدور الصغيرة والكبيرة ولكن على الطراز الأفرنجى الجديد وقطع ما كان بها من الشجر والنخل وحطمت عروش الكروم فعريت من الظلال وزالت عنها مسحة الملاحة القديمة بعد أن كانت بيساتينها وحقولها قرة للعيون وفرجة للمحزون . ؟

---

(١) عمدة المحتاج فى على الادوية والعلاج للسيد احمد بن حسن الرشيدى الطبيب المتطبى المتوفى سنة ١٢٨٢ طبع فى بولاق سنة ١٢٨٣ فى أربعة أجزاء كبيرة ثم عمل له السيد حسين عودة الطبيب بدمشق وأحد تلاميذ مدرسة الطب المصرية فهرسا مفنيا فى جزء لطيف طبع سنة ١٢٨٨ وكانت وفاته سنة ١٣٣٢ عن نحو ثمانين سنة .

أبو عبد الله
آخر ملوك الأندلس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

مأساة شهيرة فى التاريخ الاسلامى ، هى مصرع غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة هى شخصية آخر ملك أندلسى مسلم ، طويت على يده تلك الصفحة المجيدة الباهرة التى افتتحها موسى وطارق فى تاريخ الاسلام باسبانيا قبل ذلك بثمانية قرون

لبث الاسلام فى اسبانيا خلال هذه القرون الثمانية يغالب النصرانية وتغالبه ، والاسلام منذ انهار صرح الدولة الاموية دائم الخلاف والتفرق ، سائر أبدا فى طريق الضعف والانحلال ؛ والنصرانية تجتمع دائما على غزوه ونضاله ، وتنتزع منه تباعا قواعده وثغوره ، حتى إذا جاء القرن الثامن لم يبق من دولة الاسلام الشامخة بالأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، تواجه وحدها داخل الجزيرة عدوها القوى . وسطعت هذه الاندلس الصغيرة مدى حين ، ولكنها لم تنج من خطر التفرق ؛ واسبانيا النصرانية أثناء ذلك متربصة بها تكاد تلتهمها من وقت الى آخر ، لولا أن كانت صولة الاسلام فى الضفة الأخرى من البحر — فى المغرب الاقصى — تروعها وتردها . وكانت مملكة غرناطة كلما تبينت شبح الخطر الداهم تستغيث بجارتها المسلمة القوية فيما وراء البحر ، دولة بنى مرين . ولكن بنى مرين لم يستجيبوا دائما الى دعوة الاسلام المحتضر بالأندلس ، وكانت لهم أحيانا مطامع ومشروعات فى الأندلس ذاتها . وكانت اسبانيا النصرانية كلما استيقنت تصرم العلائق بين الشقيقتين انقضت على الأندلس فاقتطعت منها ثغرا أو قاعدة جديدة . وكان رجالات الأندلس يستشفون من وراء ذلك خطر الفناء المحقق ، بل لقد استشعر به ابن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها الكبير قبل تحققه بأكثر من قرن ، وصرح به فى إحدى رسائله إلى ملك فاس اذ يدعوه إلى غوث الأندلس ونجدتها ويقول : « ولا شك عندعاقل أنكم إن انحلت عروة